الفصل السابع عشر

الحوار مع الغرب في العصر الحديث

البدايات [1]

● في مؤتمر «ادنبرج» للتنصير سنة ١٩١٠م نادى بعض المشاركين فيه من أنصار ما سُمِّي «الحركة العالمية» في ذلك الوقت بمراجعة نظرة المسيحيين إلى التنصير بين المؤمنين بالأديان الأخرى ، ومن بينهم المسلمون . ويقول الأب الأرثوذوكسي البولندي «جيرماهيا» إنه كان نداءً ثورياً ، لأنه - إذا أُخذ به - سيُحدث تغييرات جذرية . وكان المنادون بالتغيير كثيرين ، لكن اشتعال الحرب العالمية الأولى غَشَّى على أصواتهم ، واستغرق الجميع في مشكلات الحرب .

- وبعد أن وضعت الحرب أوزارها ، تهيأ المناخ الدولي للحوار ونبذ القوة ، وتأسيس العلاقات الدولية على خطوط جديدة .

- ويعتقد «موريس بوكاي» أن تغييراً جذرياً حدث في تفكير الفاتيكان عن الإسلام منذ الحروب الصليبية . وصرح الفاتيكان بأن الغرب المسيحي ارتكب العديد من المظالم ضد المسلمين .

● فهذه مراجعة مسيحية للنفس .

● وفي عام ١٩٦٧م دَعَتْ سكرتارية الفاتيكان المسيحيين إلى تقديم التهاني للمسلمين بمناسبة عيد الفطر المبارك ، فكان ذلك تعبيراً عن الروح الجديدة .

● وانعقدت الجمعية العمومية لمجلس الكنائس العالمي سنة ١٩٨٨ . وانضم إليها عدد كبير من الكنائس في العالم الثالث ، واتجه بتأثيرهم إلى تبني خطط

---

(١) المرجع : أوراق وبحوث طرحت في مؤتمرات الحوار المذكورة .

لتحقيق العدالة الاجتماعية ، وحفظ السلام والتعاون مع المسلمين في ذلك ومع غيرهم من أتباع الديانات الأخرى .

● فهذه مقدمات للحوار .

● وفي اجتماع أديس أبابا سنة ١٩٧١م شكل مجلس الكنائس العالمي لجنة تنفيذية مهمتها وضع القواعد المنظمة للحوار مع أهل الأديان الأخرى ، بما فيهم المسلمون . وأعلنت أن المسيح عليه السلام هو الذي يقودهم على طريق الحوار .

ثلاث قواعد للحوار

● وفي عام ١٩٧٢ قال مجلس الكنائس العالمي في بيان له صدر في «برومانا» : «إننا لا نريد أن نحدد حدوداً لحوارنا وتعاوننا بحيث نقصرهما على مجموعة من الخبراء وحدهم ، ونشعر بواجب مواصلة عملنا بحيث تسيطر روح الحوار على المجتمعات الدينية المسيحية والإسلامية». وطالب المجلس باحترام ثلاث قواعد :

- الأولى : حرية التعبير عن العقيدة للطرفين ،
- والثانية : الاحترام المتبادل ،
- والثالثة : حرية التدين وممارسة العبادة للأقليات ولكل مؤمن .

● وأكد مؤتمر «جامايكا» هذه القواعد كما أكد أن الغاية القصوى للحوار هي : العدالة الاجتماعية وصون السلام العالمي وترسيخ الأخوة بين بني الإنسان . وبهذا عبَّر عن اتجاه اجتماعي وسياسي ضد الحروب .

● ومن الجلي أن الإسلام يحترم هذه القواعد الثلاث . ونحن نتمنى احترام القاعدة الثانية على التحديد ، لأن إساءات وإهانات ومغالطات وأكاذيب خطيرة جداً اقترفها الغربيون ضد الإسلام ورسوله وكتابه ورجاله . ولا يزال الغربيون يقترفون الجرائم ضد الأقليات المسلمة ، وخصوصاً إبادة ٦٠٠٠ مسلم في البوسنة وبعد

حادث البرجيْن الإرهابي في ٢٠٠١/٩/١١م . وفي كل حوار يجري بيننا يجب إثارة هذه القضية الأساسية ، والمطالبة بوضع حد لكل المجازر والإهانات والأكاذيب ضد ديننا ورسولنا الكريم ﷺ .

● وفي لقاء «برومانا» أثيرت مشكلة تنصير المسلمين . وقال الأعضاء إن إرساليات التنصير ـ أو التبشير ـ لا تعمل لتحويل المؤمنين بالأديان الأخرى إلى المسيحية . وهذه مسألة مهمة جداً ، وخطيرة جداً ، وقد تسببت في إثارة الجماهير المسلمة في كل مكان استطاعوا فيه تنصير مسلم . فمن المهم جداً أن يُنَفَّذ ذلك الكلام . لكنه لم ينفذ حتى سنة ٢٠٠٤ ! والمفروض أن يتعاون المسيحيون مع المسلمين لمواجهة الإلحاد والردة التي تفشت في الشرق والغرب كالوباء ، بدلاً من السعي لتنصير المسلمين الفقراء والعاطلين والمرضى ، باستغلال عَوَزِهم وآلامهم . ونحن المسلمين هَمُّنَا الأول في خطابنا الديني المعاصراستعادة المسلمين العصاة ، لا إدخال المسيحيين واليهود في الإسلام . والوثنيون منتشرون بالملايين في إفريقيا ، فَليتَنَا نخطط ونعمل لهدايتهم إلى الإسلام .

الحوار بين العلماء السعوديين والعلماء الأوربيين

● وتكثفت العلاقات الاقتصادية مع الغرب في النصف الثاني من القرن العشرين بعد اكتشاف البترول في دول الخليج العربية . وكان لابد من إجراء محاورات بين الطرفين ، العربي المسلم والأوربي المسيحي ، فجَرَت أول محاورة بين علماء المملكة العربية السعودية والأوربيين في ١٩٧٢/٣/٢٢م . وانتقد الأوربيون تمسك المملكة بالإسلام عقيدة وشريعة وقالوا إن : «الحياة في تطور ، مع مرور الزمن ، وليس من مصلحة البلاد المسلمة ـ فيما نرى ـ بناءُ نُظمها على القرآن . . لأن ذلك قد يسيئ إلى القرآن نفسه»[1] .

---

(١) ندوة علمية حول الشريعة الإسلامية ؛ نشر وزارة الإعلام السعودية ؛ سنة ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م ؛ ط٢ ص ١٠-٢٤ .

- ورد العلماء السعوديون قائلين إن القرآن لا يمنع التطور ؛ ويميز الإسلام بين الثوابت والمتغيرات . وتطبيق الإسلام كاملاً يحقق مصالح المسلمين الدنيوية والأخروية ، ويحمي الأمة من الإلحاد والانحلال .

● وفي ١٩٧٤ حدثت اتصالات بين الفاتيكان والمملكة العربية السعودية . ففي يوم ١٩٧٤/٤/٢٤ زار الكاردينال «بنيدولي» رئيس سكرتارية الفاتيكان لشئون غير المسيحيين المغفور له جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز ، وسلمه رسالة من البابا بولس السادس . وفي أكتوبر سنة ١٩٧٤م استقبل البابا رسمياً ـ في الفاتيكان ـ وفداً من علماء الدين السعوديين . وبتلك المناسبة عُقدت ندوة حول : «حقوق الإنسان الثقافية في الإسلام». واهتمت جريدة الفاتيكان الرسمية (أوبزرفاتور رومانو) بذلك الحدث اهتماماً كبيراً ، فأبرَزَتْه في صدر صفحتها الأولى يوم ١٩٧٤/١٠/٢٦. ثم استقبل المجلس المسكوني الأعلى في «جنيف» العلماء السعوديين ، ودعاهم الأسقف «إلشنجر» لأداء صلاة الظهر في الكاتدرائية . وبذلك ذكّر الجميع بسماحة النبي ﷺ مع النصارى الذين زاروه في المدينة المنورة ، وسمح لهم بالصلاة في مسجده الشريف .

● ونلاحظ على المرحلة التي انتهت سنة ١٩٧٤ بأنها كانت في بدايتها «مراجعة للذات» من الجانب المسيحي ، وتصحيح موقف خاطئ ونظرة خاطئة نحو المسلمين وغير المسلمين . وهذا تطور إيجابي في الجانب المسيحي .

- ونلاحظ أن هذا التطور اتجه إلى دعم السلام العالمي والعدالة الاجتماعية ، مع تراجع الاهتمام بتأسيس علاقات جديدة مع المسلمين ، للقضاء على المظالم والأخطاء التي اقترفها الغرب المسيحي ضد الأمة المسلمة ؛ واستمرت الأوضاع على ما كانت عليه .

- ثم عاد الاهتمام بفهم الإسلام من خلال الحوار مع العلماء السعوديين في الفترة من ١٩٧٢ إلى ١٩٧٤م . وفي ذلك الحوار ظهر سوء فهم المسيحيين للقرآن الكريم ، حتى طالبوا الوفد السعودي بتجاوزه تحقيقاً للتطور !!

مؤتمر وارسو سنة ١٩٨٦م

● وقد كان من الممكن أن يتطور الحوار إلى مراحل أكثر إيجابية ، لكن بحوث مؤتمر «وارسو» في بولندة سنة ١٩٨٦ تشير إلى غلبة تيار معين يتجاهل أوجه الخلاف بين الإسلام والمسيحية ويركز على نقاط الاتفاق ، أو ما يُظن أنها كذلك . ونتيجة لذلك انتهى المؤتمر إلى القول إن : «ما يجمع بيننا أكثر مما يفرِّق» .

- وفي ذلك المؤتمر انتهى البروفيسور فلاديمير مُسْتَافِن - الأستاذ في كلية اللاهوت في لينين جراد - إلى أن ثمة أربع عقائد تجمع بين المسيحية والإسلام هي :

١- الإيمان بالله الواحد الأحد ،

٢- والإيمان بحكمة الله العليا ،

٣- والإيمان بخلود الروح ،

٤- والإيمان بأن نوع الحياة التي يحياها المؤمن في هذه الدنيا شرط لنوع حياته الأخروية ، إن كانت خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

- وقرر «مُسْتَافِن» أن هذه العقائد كافية كأساس للحوار بين الطرفين .

● وكان مؤتمرا موسكو (سنة ١٩٧٧ وسنة ١٩٨٢) قد قررا أن : «الأسس النظرية للمناقشات بين أتباع الديانات المختلفة كانت مقصورة على المبادئ الأخلاقية فقط ، بل هي في الواقع قد اقتصرت على ضرب من المبادئ الأخلاقية المشتركة بين كل المؤمنين».

● ولا يظهر من ممثلي المسلمين في مؤتمر «وارسو» سوى الشيخ محمد شابستاري ممثل إيران - وقد قرر أن القيم المشتركة ست عقائد ، هي :

١- الإيمان بالله الواحد ، خالق الكون ، فوق العقل ، وفوق الخيال ، وفوق التصورات البشرية ، له سبحانه كل صفات الكمال ، كما أنه منزه عن كل نقص .

٢- الإيمان بالله وحده لا شريك له .

٣- الإيمان بسمو الإنسان على المادة ، وبأنه خليفة الله في أرضه .

٤- الإيمان بأن الأعمال تشمل العبادات ، كما تشمل أعمال البرِّ والإيثار .

٥- الإيمان بأن الله تعالى أرسل الرسل برسالاتهم لمعاونة العقل البشري .

٦- الإيمان بأن رسالة الله يجب أن تبلَّغ للناس جميعاً ، يبلِّغها الرسل ، ثم الدعاة من أتباعهم .

● ومن الجلي أن «الاشتراك» الذي قرره الشيخ شابستاري ومن قبله الأستاذ «مستافن» لا يمكن أن يكون تطابقاً . ووراء تشابه الألفاظ أبعاد من التباين ، وربما التضاد والتناقض . والمهم أن تقود هذه الروح الودود إلى تصفية المشكلات التي توهن العلاقات بين الطرفين . ولدى المسلمين شكاوى مريرة من : تنصير المسلمين ، والاعتداء على بلادهم ، وظلم الأقليات ، وإهانة المقدسات ، وتصدير الإلحاد الأوربي ، والطعن في عقائد الإسلام ، وغير هذا كثير جداً . وكان من الممكن أن يتواصل الحوار ، وتُسَوَّى بعض هذه المشكلات ، لكن استمرار التنصير لأبناء المسلمين ، وانحياز الغرب للصهيونية ضد شعب فلسطين المسلم ، ألْحَقَا أبلغ الأضرار بحركة الحوار الإسلامي المسيحي ، وبالعلاقات بين المسلمين والمسيحيين . وتُبذل الآن جهود دبلوماسية ودينية وثقافية لتحسين العلاقات بين الطرفين . وقد أصدرت الأمم المتحدة قراراً يدعو إلى تعزيز التفاهم الديني والثقافي ، وتوكيد دور الحوار بين الحضارات ، بعيداً عن نظرية الصراع ، التي هي نظرية عدوان على الإسلام[1].

---

(١) جريدة الأهرام اليومية ؛ في ٢٠٠٣/١٢/٢٤ .

● وترى «د . سوزانا هاين» الخبيرة في الحوار بين الأديان ، والأستاذة بالكلية البروتستانتية بجامعة فيينا بالنمسا ، أن المؤتمرات الدينية أفضل وسيلة لتصحيح الأخطاء ، وبيان الحقائق عن الأديان ، سواء الإسلام وغيره . وأعلنت الدكتورة «هاين» أنها حضرت مؤتمرات عديدة في أمريكا ، ولاحظت أن معظم المشاركين فيها كانوا مُستائين من سياسة الغرب تجاه الآخر ، أي غير الغربي[1] .

- وقد أعلن أحمد بن حلي الأمين العام المساعد في الجامعة العربية عن مشروع إنشاء مؤسسة أورومتوسطية للحوار بين الحضارات والثقافات[2]. وهذا اتجاه إيجابي لمواجهة نظرية الصراع بين الحضارات ، تلك التي تروج لمقولة الخطر الإسلامي على الغرب ، وتحرض الغربيين على معاداة الإسلام وثقافته . والمهم هو التنفيذ السريع .

● وفي اعتقادي أن على الدول الإسلامية أن تتعاون في إنشاء مؤسسات علمية وتعليمية وإعلامية وفنية لرسم الصورة الحقيقية للإسلام أمام أنظار الشعوب الغربية . وذلك عمل إسلامي دعوي مهم جداً ، لا لتحويل الغربيين إلى الإسلام ، ولكن لمواجهة التشويه والتضليل والافتراء الذي ورثته أوربا وأمريكا منذ أيام الحروب الصليبية ضد الإسلام ، ولا يزال يلعب دوراً مخرباً في المناخ الثقافي والسياسي في الغرب ، وتغذيه بواعث عنصرية عديدة ، فيما تقدمه بعض الكنائس للأطفال في دروس الأحد ، وما تنشره الصحافة الشعبية من أخبار وقصص مزيفة عن المسلمين ، وما تبثه التلفزة والسينما من أفلام عن العرب والمسلمين الهمج ، العدوانيين ، الشهوانيين ، الصحراويين !

- والمسلمون في الغرب يمكن أن يتعاونوا مع الدول الإسلامية ويشيروا عليها بما يمكن أن يعملوه في مختلف المجالات . فالفرص متاحة ، والطريق واضحة ، والمسلمون قادرون مالياً وعلمياً وثقافياً على النهوض بهذه المهمة .

---

(١) من تصريح لها نشر في جريدة الأهرام اليومية في ٢٠٠٣/١١/٢٢م .

(٢) من تصريح له نشر في جريدة الأهرام اليومية في ٢٠٠٣/١١/٣٠ م .

الجدال بالتي هي أسوأ

● ومن المحزن حقاً أن نلاحظ ـ من جهة أخرى ـ انطلاق موجات متتالية من الجدال بالتي هي أسوأ ، ضد الإسلام ، قام بها المنصرون المسيحيون والمستشرقون اليهود ، والنصارى ، والملاحدة ، وكان هدفها الثابت إخراج المسلمين من الإسلام ، ليَفْقِدُوا المصدر الروحي المحرك لهم ضد الاستعمار الأوربي . وسُخِّر التعليم ، من المراحل الأولى حتى المراحل العليا ، وسُخرت المجلات والصحف ، والإذاعات ، والآداب والفنون ، لبلوغ تلك الغاية الشريرة . وكان الجدل ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ (الحج:٨) هو المنهج الذي اتخذته تلك الموجات العاتية .

● وفزع المسلمون لتلك الهجمات ، وهَبُّوا للدفاع عن دينهم وثقافتهم وأمتهم ، فَصَدَرَت المجلات والصحف ونُشرت الكتب ، لتفنيد الاتهامات الباطلة ، وبيان الحقائق المشرقة التي غَشُّوا عليها وأرادوا طمسها . فاتخذت هذه النهضة طابع الدعوة بالكتب والمجلات والصحف . ولا تزال المعارك محتدمة حتى اليوم ، ولا يزال كثير من الغربيين ينهج النهج الباطل نفسه ، ﴿ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ (غافر:٥) .

● ويكفي أن نذكر هنا أن «فرانسوا فوكوياما» أستاذ الاقتصاد السياسي في جامعة هوبكنز الأمريكية ، هاجم الأمة المسلمة في مقال له بعنوان : «إنهم يستهدفون العالم المعاصر»[1]، اتهمها بأنها أمة همجية ، تسعى إلى تدمير الحضارة الإنسانية . هذا الاتهام الخطير بناه فوكوياما على «سطر واحد» اقتبسه من كتاب مدرسي مقرر على الصف الأول الثانوي في إحدى البلاد المسلمة ! فأحيا بذلك تقاليد السوفسطائية القدماء !

● ومرة أخرى لا أجد رداً حاسماً موجزاً غير قول الله تعالى ﴿ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ (غافر:٥) وقد حولوا الجدال إلى اتهامات !

---

(١) نشرت جريدة الأهرام ترجمته العربية يوم ٢٠٠١/١٢/٢٩ .

والأمة المسلمة مطالبة بالنهوض بقوة لصد هذه الاتهامات والهجمات ، بكل الوسائل الدعوية الممكنة .

ولا يجوز أن يخلو بحث عن تطوير الخطاب الديني من مناقشة تلك الاتهامات.

فنقول إن الأمة المسلمة هي التي تتعرض للاعتداءات الهمجية من جانب الصهاينة بدعم من أمريكا والغرب ، ومن جانب أمريكا نفسها في أفغانستان والعراق ، ومن جانب روسيا في الشيشان ، ومن جانب الصين في تركمانستان ، ومن جانب الفيليبين في « منديناو » .

و « فوكوياما » يتهم الإسلام بأنه ينطوي على عقيدة غير متسامحة ؛ وهو لا يحدد مفهومه للتسامح . ونحن نفهم التسامح على أنه قبول الآخر المختلف عرقياً أو دينياً أو ثقافياً . والإسلام ـ في التسامح بهذا المعنى ـ قمة رفيعة ، فهو يعترف لليهود والنصارى بدينهم ، بل هو يحثهم على التمسك بدينهم .

يقول الله تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ (المائدة:٦٨) ويقول ﷻ ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ﴾ (المائدة:٤٧) وقال النبي ﷺ : « عليكم خاصة يهود أن لا تعدوا في السبت »[1]. وقد عاش اليهود والنصارى في بلاد المسلمين وتحت حكمهم قروناً ، كانوا يتمتعون فيها بالحرية في عبادتهم ، وصَوْن أموالهم ودمائهم . وبلغ بعضهم أرقى المناصب في الدولة . وفي المقابل ، لا يعترف النصارى بالإسلام كدين سماوي منزل ، ولا يكفون حتى اليوم عن مهاجمته وسب رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام ، والاعتداء على المسلمين واحتلال أراضيهم ، واضطهاد الجاليات المسلمة في الدول المسيحية الغربية والشرقية .

فمن المتسامح ومن الذي يفتقر إلى التسامح ، نحن أم هم؟ ومن الذي يستهدف الآخر ويحاول تدميره ، نحن أم هم؟

* * *

---

(١) رواه النسائي والترمذي .